من الأدب الهندى

السيدة لاجونتى

للكاتب الهندى
ملك راج أناند

ترجمة : خديجة قاسم

فى اليوم الأول من شهر مايو ، فاضت روح لاجوانتى كفيضان اللهب فى قلب السماء ... وبدت الشمس تزفر نسيما ملتهبا خانقا كأنها توقفت عن الحركة ... وكان شقيق زوجها يقف وكأنه يحثها على العمل ، وهو فى الحقيقة يلفت نظرها اليه ..

كان العرق يبل يديها ، وشدت قبضتها على القفص الذى يقبع فيه طائرها « مينا » فى صمت واستسلام لضغط الحرارة وصممت أن تجر نفسها الى قرية جورجاون حيث كانت تأمل أن تلحق « بالأمنوبيس » فى طريقها الى منزل والدها فى باتودى .

ـ خذنى يا « مينا » .. قل شيئا .

ورفرف الطير ، ولعله أراد أن ينبىء لاجوانتى بأنه لا يزال حيا .

ـ سأعطيك ماء بمجرد أن أصل الى محطة الأمنوبيس » .

وأسرعت الى ظل شجرة مانجو وحيدة ، تبعد قليلا عن طريق جورجاون ـ مهرولى ، بينما كانت الحرارة تلسع أقدامها العارية من بين ثقوب الحذاء .

وحين وصلت الى الظل نفثت أنفاسا ساخنة ، ومسحت عنقها بطرف غطاء رأسها ، ومسحت وجهها بقماش الدوباتا القذر ، ولعقت طبقها بلسانها ووضعت القفص على الأرض ونظرت فى اتجاه جورجاون .

كان ضباب الحر يحيط بكل شىء ، وكانت تستطيع أن ترى ملامح قصر قديم يطلقون عليه القافلة القديمة ، على بعد ميل فوق كتلة خضراء من شجر المانجو .

ورفعت القفص بسرعة ... ومضت كان احساسها يؤكد لها بأن جاسوانت سوف يلحق بها كشعور حماتها بأنه سوف يبحث عنها بعجلته حينما يحدث أن تتأخر فى البئر أكثر من ساعتين ..

وهمست لاجوانتى :

ـ تعال الى يا صغيرى « مينا » .. سنصل حالا ..

كانت المبانى الصغيرة فى قرية جورجاون ، تحرسها الأسوار القصيرة ، والأشجار الضخمة الشاهقة ، وكانت الأوراق الخضراء كأنها سائل بارد يتسرب الى روحها .. وبدا لها عن بعد محل بيع المشروبات ...

قد تستطيع أن تشرب فيه كوبا من السوبيا ، وتقدم لطائرها بعض الماء والغذاء ... ومع ذلك فان المرحلة الأخيرة فى رحلة السير على الأقدام هى أصعب مراحلها ...

كانت تجر أقدامها وآثار الحروق فى قدمها لا تحتمل ... وامتلأ عقلها تماما بالخوف من أن جاسوانت سوف يلحق بها ، وكادت تفقد قواها ، ورغم ذلك واصلت السير وكأن شيطان الهرب قد تملكها ... وأصابها لحظة من الضعف حين أصبح الطائر لا يتحرك ، وأحست دون أن تنظر أن الطائر قد يغمى عليه ويموت .

وخلال هذا الرعب أحست بالذنب يسد حلقها الجاف كان يمكن أن تتحمل المهانة ... ويمكن أن تستسلم لجاسوانت ويمكن أن تغمض عينها وهو يعتدى عليها ، وكان زوجها بالوانت فى الكلية ، وحماها لا يعلم ... أما حماتها فكانت تريد أن تصبح جده أكثر من أى شىء آخر ...

كانت لا تكترث حتى ولو علمت .. لأنها كانت تفضل جاسوانت الذى يعمل فى الأرض على بالوانت الذى يريد أن يصبح موظفا ...

ـ حدثنى « يا مينا » ... لا تتركنى ... اذا ذهبت سأنتهى ..

ولم يتحرك الطائر ، فكاد قلبها أن يسقط ، وغرق جسدها فى العرق .

قالت لنفسها :

ـ لعلنى أومن بالخرافات ، ولكننى سأحتفل فى مفترق الطرق عند هاوس خاس اذا وصلت خلال ساعة الى باتودى وحين ذلك يبدد الله شمل أعدائى ..

ورغم ذلك فقد شاء القدر أن يطيل المسافة بينها وبين باتودى ، فأحست وهى تواجه الفراغ أن الأرض كلها تعارضها وأرادت أن تركع لله القوى ليغفر لها كل الذنوب التى اقترفتها .. قالت فى قرارة نفسها :

ـ أرنى طريق الخلاص .

وحينئذ سمعت صرخة جاسوانت اللعين ..

ـ قفى أيتها المجنونة والا قتلتك ..

لم تنظر وراءها لأنها كانت تعرف حقيقة صوته .. وبغريزة الفرار ، جرت بعيدا عنه نحو جمع من الرجال كانوا يستريحون الى جوار بائع المشروبات ، وهز الطائر جناحيه بقوة ، وصرخت كأنها تلمح كارثة ..

قال صوت اللعنة غاضبا :

ـ قفى ..

وسقطت لاجوانتى فى بئر من الاضطراب ، وضاعت فى غابة من الأحاسيس . كانت عذابات الجحيم تنتظرها ... لعلها تستطيع أن تقاوم

وصاح جاسوانت فى صوت أهدأ ..

ـ لا جوانتى ...

أصابتها الدهشة ، وأثارت فيها الضعف والأسف ، لأنها لم تستسلم . وجرت بسرعة حوالى عشرين ياردة أمام محل المشروبات ، ومر بها جاسوانت وهو على دراجته ونزل منها .. وأمال الدراجة على الارض ، واعترض طريقها وابتسم ابتسامة مرعبة بوجهه الثقيل المصاب بالجدرى .. وانحرفت فى الطريق فسبقته الى منحدر الحفرة ، ثم توجهت الى بائع الحلوى الذى يقع فى نفس هذه الجهة ..

وأفلتت منه ...

وسحب دراجته ، وأسرع فى اتجاهها ... وحين وصل الى محل المشروبات ترك الدراجة ، وجرى نحوها ، وسقطت لاجوانتى بين ذراعيه الممدودتين كأنها فريسة مختارة ولكنها حين أدركت قبضة الوحش الساخنة ارتدت وخلصت نفسها من قبضته ... وجرت ...

واندهش ، وتعقبها ... ثم أمسكها

من غطاء رأسها قبل أن تستطيع الجلوس على الدكة الخشبية جوار محل المشروبات ·

سألها :

ـ لماذا جريت ·· ألا تخجلين ·· !! انظروا يا خلق ···

ونظر اليها الفلاحون دون اكتراث ، ودون أن يتقدموا ولكن ثلاثة من الطلبة جاءوا ··· وحملقوا ··

قالت لاجوانتى دون أن ترفع نظرها عن جاسوانت ··

ـ دعنى ··· أريد أن أذهب الى بيت أبى ··

وخفق الطائر فى قفصه ، وصاح جاسوانت غاضبا ··

ـ لا ·· ستعودين الى بيت زوجك

ولوى ذراعها ، وهى تحاول أن تتخلص من قبضته ·· وصرخت :

ـ وحش ···

ونهنهت دون أن تذرف الدمع ·

ـ دعنى وحدى ··· دعنى أعطى بعض الماء للطائر ··· واشتدت وحشيته بينما زاد ضعفها ، وصاح فى عنف ··

ـ عاهرة !! امرأة سيئة !! تهربين ماذا يظن أشقاؤنا ··· تلحقين بنا العار هكذا ··· وانهارت لاجوانتى تحت أقدامه ··· وركلها شقيق زوجها وحينئذ قام بائع الحلوى عن مخدته المزيته وقال :

ـ لا تضربها ··· حاول اقناعها ··

وبينما كانت المرأة تجلس دون أن تنطق ، تركز انفعاله الغاضب فى ارادته العنيدة الخائبة ، فلطمها على رأسها بيده اليمنى ·

وأستسلمت لاجوانتى ،وجلست لاتنطق ، وهى تكتم نهنهتها ·

وحينئذ تجمع بعض المارة ليستمتعوا بالمشهد ، ولم يتدخل أحد ، وكانت المخاوف تزحف مع الضوء أمام عينى لاجوانتى ·

***

توقفت عربة الجيب التى يركبها المهندس دين ديال فجأة على بعد ٢٠ ياردة من محل المشروبات ، فعلا صوت الفرامل واحتكاك العجلات ··

وأمرت شريماتى ديال زوجها ·

ـ اذهب حالا ··· لقد رأيته يلطم المرأة ··· وقال المهندس :

ـ دعينا نرى الأمر قبل أن ننفعل ·

والتفت الى بائع المشروبات وقال :

ـ ماذا حدث ··· من هؤلاء ؟؟

ـ سيدى ··· يبدو أن الفتاة قد هربت من حمويها وتريد أن تذهب الى منزل أبيها ، ولكن شقيق زوجها جاء وأمسكها ···

وقفزت شريماتى ديال من الجيب ، وتقدمت زوجها ···

ـ جبناء ··· تنظرون ··· وكأنكم فى مهرجان ···

وتفرق الجمهور ، وظهر جاسوانت ممسكا لاجوانتى من غطاء رأسها ، وقد لف ضفيرتها حول يده ··

وقالت شريماتى ديال :

ـ دعها وشأنها ··

وقال جاسوانت :

ـ بالقرب من مهرولى ·

ـ على الأقدام أربعة عشر ميلا ··· أمشت ؟؟؟

وهز جاسوانت رأسه ··· والتفتت شريماتى ديال الى زوجها وقالت :

ـ لن أترك الفتاة تموت من ضربة شمس ··· نأخذها معنا فى السيارة الى المنزل ··

وقال جاسوانت فى خجل ، ولكن بمواجهة : ـ

ـ لن أسمح بذلك ٠

وهددته شريماتى ديال قائله :

ـ سابلغ البوليس ٠٠٠ وأسلمك له

وقال المهندس لجاسوانت :

ـ على أى حال تعال معنا نتدبر الأمر وحاول أن تقنعها بالعودة معك ٠٠٠ لا ترغمها على ذلك ٠٠٠

وقالت شريماتى ديال :

ـ هيا ٠٠

وهى تخلص شعر الفتاة الذى التوى فى قبضة جاسوانت ٠٠٠

وقال جاسوانت لزوجة شقيقه :

ـ أعطنى الطير لأمسكه ٠

واكتفت لاجوانتى بأن هزت رأسها نفيا ٠٠٠

وتقدمت الى ظلال « الفراندا » الباردة للفيلا التى يملكها المهندس ديال ٠٠٠ وانتزعت لاجوانتى الغطاء من رأسها ، وكشفت عن عينيها الرقيقتين المليئتين بالدموع وقالت : ـ

ـ أعطينى يا والدتى بعض الماء من أجل الطائر ٠٠

ونادت شريماتى ديال على الخادمة وقالت :

ـ هاتى بعض الماء المثلج ٠٠ بل عصير ليمون وبعض الماء للطائر ٠٠

أدركت جوركا كل شىء من نظرة واحدة ، وذهبت الى المطبخ ، وسألت شريماتى ديال جاسوانت : ـ

ـ لماذا تضرب الفتاة ٠

فقال جاسوانت :

ـ لقد قلنا لها مرارا انه لم يبق على زوجها سوى عام ليتم دراسته الجامعية ٠٠٠ ولكنها تريد أن تكون معه أو تذهب الى منزل أبيها ٠٠٠

وصرخت لاجوانتى :

ـ انه كاذب ٠

قال المهندس ديال :

ـ لابد أنكم عذبتموها كثيرا حتى تقول ذلك ٠٠

وقال جاسوانت :

ـ لقد ٠٠٠ نحسن معاملتها يا سيدى انها تنحدر من أسرة فقيرة ٠٠ ان أبى هو شريف القرية كلها ٠٠٠ أنا لى زوجة أيضا ٠٠ ولكنها طيبة ٠

وصرخت لاجوانتى : ـ

ـ كالجاموس ٠٠٠ وتريد زوجات كثيرات ٠٠٠

وقال جاسوانت :

ـ لا تنبحى ٠٠٠ امرأة لا تخجل ٠٠ والا جذبتك ٠٠٠ وهنا وقفت شريماتى ديال بعد تدبر ، ولطمت وجه جاسوانت بشدة ٠٠٠

ـ ما رأيك فى هذا ٠٠٠ اذا ضربك شخص ٠٠

وذهل الرجل ، وفغر فاه دون أن يتكلم ٠٠٠

ولوت لاجوانتى رأسها بعيدا عن المهندس وهى تقول :

ـ هذا ما كان يجب أن أفعله ، حين حاول الاقتراب منى ٠

قال المهندس :

ـ من الواضح أن هذه الفتاة ليست سعيدة فى عائلتكم فدعها تذهب الى بيت أبيها حتى ينتهى زوجها من دراسته وحينئذ تستطيع أن تعود اليكم ٠

وأضافت شريماتى ديال :

هذا حق ٠٠٠ لن أترك الطفلة فى قبضتك ٠٠٠ تستطيع أن يكون لك زوجة واحدة لا زوجتان ، وهذا عرف فى ميزان الحياة ، وما يقتضيه صوت الحق ٠

وأحست لاجوانتى للمرة الأولى خلال هذه المناقشة بالعدالة .. ولأول مرة بالراحة منذ سنوات ... ولكنها أحست فى الحال من انتقام جاسوانت من اللطمة التىأصابته ... ونظرت الى الطائر دون أن تتكلم ...

ـ لو أن هناك مكانا باردا يا ملاكى فى جهة ما من العالم نستطيع أن نستقر فيه ..

وقال جاسوانت :

ـ اسألوها لتقرر ... اذا أرادت أن تعود الى بيت أبيها ، فلن تعود الينا ، أما اذا عادت معى فقد نرسلها الى بيت أبيها بعضا من الوقت .

وقالت شريماتى ديال :

ـ قولى ... ماذا تريدين ..

فأجابت لاجوانتى :

ـ أريد أن أعود الى بيت أبى ... ولا أريد أن أضع قدمى فى بيته ...

فقالت شريماتى ديال :

ـ اليك ... هذه اجاباتها ... اذا كنت مهذبا عد الى دارك ، وسوف أصحب الفتاة الى الأمنوبيس الذى يذهب الى باتودى .

ومالت على زوجها حتى يؤيد قرارها

وقال المهندس :

ـ صحيح ..

ونادت شريماتى ديال على الخادم الذىأحضر عصير الليمون وبعض الماء ، وبعض حبوب الكمون للطائر ..

***

وصلت لاجوانتى وفى يدها الطائر الى بيت أبيها فى الوقت الذى كان الرجل يزمع الخروج بثوره ليغسله من ماء بئر .. ففتح عينيه ، وفمه وهو يسأل نفسه اذا كان ما يراه هو ابنته أم شبح ..

وحين انحنت لتمسح الغبار من قدمها، استطاع أن يشم رائحة عرق الصيف الشديد فى ملابسها ، وعرف انها لاجوانتى ولم يجرؤ على النظر فى وجهها لأن ابنته تعود الى بيتها دون أن يحتفل بها .

كان لطيفا كعادته ، فلم يسأل أية سؤال ، ولكنه نادى على ابنه الصغير الذى كان يعد التبن للثور ..

ـ هندو ... أختك الكبرى جاءت ... أيقظ اختك الصغرى موتى ..

وأحست لاجوانتى بالحزن من أجل أبيها ، فقد حمل شيكنيو هارى ضغط السنين ليعيش على فدان وثور ... فقد ماتت زوجته ، وتركت له طفلين صغيرين .. ولا يستطيع أن يستقبلا ابنة متزوجة كبيرة تعود اليه وهى لا تحمل شيئا حتى الغبار .

وترك هندو الساطورة ، وهو ينظر الى قدمها وكأنه يرى شبح أمه تقف الى جانب الباب .

لقد كانت لاجوانتى تشبه أمها تماما ، ولكن الأم كانت قد أصبحت ذكرى جميلة ..

وانهمرت الدموع من عينى لاجوانتى من شدة دفء العناق وقالت :

ـ لا توقظ موتى ... وانظر الى الطائر المسكين .. لقد جاء معى طوال الطريق من نيودلهى ...

وتناول الفتى الصغير القفص من شقيقته ، وسرعان ما نسيها وهو يحاول التأثير على لاجوانتى لأخذ الطائر منها .

ـ سأعطيه بعض الحبوب ليأكل ...
وبعض الماء .. قالت لاجونتى ...
وكانت تجلس على حافة الفراندا ...

ـ سوف تتكلم معك ... وان كنت أتمنى ألا تطيل الحديث معك ...
وسيعرف الجيران كل شيء . ولما كانت قد وصلت، فقد أحست بشيء من الرغبة في العودة كانت تعلم أن أى انسان يعلم كل شيء عن الآخر فى هذا المكان الصغير لم تكن تأمل أن تهرب من الألسنة التى اندلعت حولها قبل زواجها والتى كانت تقول انها تلعب مع الصبية من سنها ، وانما كانت نادرا ما تغطى رأسها ...

كان الكبار يسمونها لاجوانتى المجنونة ، بينما الصغار يسمونها « مينا كورى » على اسم بطلة السينما التى كانت تشبهها . كانت تريد وهى تجلس أن تعرف ما يدور فى قلب أبيها واذا كان يفهم ارادتها الغريبة ، وغريزتها التى تحثها دائما على أن تفعل أشياء شاذه ..

ودفع هندو بكوب من الماء فى قفص الطائر ..

وبدأ الطائر فى الحديث وسأل الفتى : ـ

ـ ماذا يقول الطائر ..

وابتسمت لاجوانتى وهى تنظر الى السماء ..

***

عاد الأب وربط الثور ، ووضع الماء وما أعده هندو أمام الحيوان ... وأخذ الساطور ليعد بعض التبن .

لم يكن الأب من النوع الذى يعاتب أحدا ، ولم يشعر بالرغبة فى لوم ابنه ، لأنه انفعل بمجيء شقيقته ، وحين اطمأن الى أن الثور قد أحس بالرعاية تقدم فنقع فى الماء حبات العدس لوجبة العشاء ، وتقدم ليشعل النار .

قالت لاجوانتى :

ـ سنفعل ذلك يا والدى .

فأجاب :

ـ لا يهم يا ابنتى ..

وذهب بعناد ... واستدار لابنه قائلا : ـ

ـ اعط شقيقتك حصيرة تجلس عليها .

كان يخفى أحاسيسه وراء وجهه المجعد الهادى ، ورأت الشحوب على شفتيه ، وعلمت انها ليست مرغوبة فيها ، لأن الحصيرة لا تقدم الا للضيوف

كان الظلام يملأ الفناء ... ولاجوانتى تستطيع أن ترى الغيوم التى اصطبغت باللون الأحمر وكأن العالم يشهد جرعة قتل فحاولت أن توقف أنفاسها وهى تخاف من نفسها ...

وقال هندو :

ـ لقد أحضرت لك دلوا من الماء لتستحمى ...

واستيقظت لاجوانتى على صوت أخيها ... وزحفت وقبلته ...

وقال الأب :

ـ ان الأطفال فى حاجة الى الأم ، وكان لابد ألا أتخلى عنك ، وأن أبقيك هنا ، لو لم يبدأ الناس فى الحديث عنك ...

وسكت لحظة ... ثم قال وهو يهوى على النار .

ـ أنا الآن أبوهم ... وأمهم ... أما عنك فاننى سأعيدك الى بيت حميك ... سأنحنى على أقدامهم سأطلب منهم الصفح ... ان عار ترملك دون أن تصبحى أرملة عار لا يحتمل ، فسوف ينادونك بأوصاف قبيحة هنا .

***

بعد يومين وصل الى والد لاجوانتى خطاب كتبه جاسوانت بالنيابة عن أبيه قال فيه :

« ما دامت لاجوانتى قد هربت دون اذن من زوجها أو من حميها ، فانهم يعيدون الملابس التى أحضرتها فى زفافها .. ولا أحد فى دلهى يريد أن يرى وجهها الأسود » .

كان شيكينو هارى العجوز يحاول أن يجد أحدا ... أو يحاول العثور على أحد يعتنى بثور ابنه ، وابنته حتى يستطيع أن يصحب لاجوانتى الى حميها، فأرسل يستدعى القابلة التى ولدت جميع أبناء ولاية باتودى لأنه لم يكن يعرف أحدا فى القرية الصغيرة يقبل هذه المهمة دون أن يقبض شيئا من المال، ولحسن الحظ وصلت تشامبا القابلة فى نفس الصباح الذى وصل فيه الخطاب ، وأبدت ترحيبها بالمهمة وقالت :

ـ لقد كنت أتمنى أن أرى لاجوانتى ببطن كبيرة .

وكنت أنتظر أن أستدعى الى سريرها حتى تلد ولدا ... ولكنك الآن ياحبيبتى هنا ... ولا علامات فى عينيك لهذا الحدث السعيد ... اسرعى بالذهاب يا عزيزتى .. على الأقل من أجل خاطر روح أمك العزيزة ... وتعالى هنا وحجرك ملىء بالأطفال .

***

قال هارى العجوز لتشولد تيجرام :

ـ انى أضع عمامتى عند قدميك ..

ورفع عمامته فعلا ، ووضعها عند حذاء الرجل .. وقال تشولد تيجرام :

ـ تعال وأجلس معى ..

كان يدخن النرجيلة تحت ظلال الشجرة وابتعدت لاجوانتى قليلا ورأسها مغطى، وحولت نظراتها عن حميها الى اتجاه الحقول الحارة .

كان قلبها فى فمها ، فقد يظهر جاسوانت فجأة ، وربما تجىء حماتها قبل أن يسامحها حموها ، ولكنها كانت تعلم فى نفس الوقت أنها لن تحصل على مغفرة .. سينتهى الأمر بهزه مترددة من الرأس كأنها تستطيع البقاء ومع ذلك ، جاءت الموافقة متأخرة ، لأن تيجرام ظل صامتا بعد أن دعى هارى للجلوس بجواره ... وكانت نرجيلته تهتز ، وحينئذ أحست لاجوانتى بالعرق يتجمع فوق رأسها وأصابتها دوامة .

ونظرت الى الببغاء فى القفص ، لترى اذا كان لا يزال حيا .. لقد كانت الرحلة أسهل هذه المرة ، لأنهم جاءوا بالأمنوبيس من باتودى الى جورجاون ، ثم انتقلوا من جورجاون الى القرية الصغيرة التى يسكن فيها حموها وتبعد نصف ميل من محطة الأمنوبيس

ـ قل لى يا طائرى ... ماذا سيحدث الآن ... ان قلبى يرتجف كما ترتجف أنت حين تخاف من القط الذى يريد أن يفترسك .. لست أدرى اذا كان جاسوانت سيتركنى ولن يتعبنى بعد ذلك ، ولكن ربما لأن أبى قد أعادنى

... سأترك نفسي للافتراس ... ان العار سيكون كاملا ... آه لو انني حذرت رجلي الذي كان لا بد أن يعلم .. لقد هزمت تماما ، وحتى الكلمات لا تفيد وفي داخلي رغبة وحياة ... نهر من الأحاسيس يشبه نهر ساراسواتي القديم الذي غاص ماؤه تحت الأرض واختفى من السطح .. كيف يمكن أن أتحكم في هذه الأحاسيس من هؤلاء السجناء الذين يريدون الانطلاق ..

وفتحت عينها لتتأكد ...

كان ماتراه حقيقيا ، فأغمضت عينيها دون ارادة .. وزفرت تنهيدة ... ثم سحبت غطاء رأسها ... وانطلقت شرارة مثل النجوم من رأسها .

كان اضطراب أعصابها يفرز عرقا غزيرا ... كانت تعلم أن مجموعة النجوم في السماء ثابتة كآلامها وعذابها

وجاء صوت المرأة التي عادت من البئر بدلو في يدها اليمنى وآخر في يدها اليسرى ..

ـ قد عادت الميتة ..

لقد اضطرت الى أن تتحمل الذهاب ... وتحمل ... وتفعل كل شيء في غياب لاجوانتي ، ولذلك انطبع صوتها بالمرارة ..

قال هاري العجوز : ـ

ـ انها ابنتك .

وقد خيل اليه من فرط سذاجته أن تلك الحماة هي سبب فرار ابنته ، لقد أعادها ...

وتذكر أن القابلة تشامبا قالت :

ـ ان الفتاة قد ارتكبت بعض الاخطاء

وقالت الحماة :

ـ لاشك ... ما دام بالوانت لايعود من كاليش الا لبضعة أيام ... في كل مرة أرجو ألا تكون قد استخدمت سحر عينها الرماديتين لشخص آخر ..

لقد قال جاسوانت انه رآها تغمز بعينيها للزوار على قارعة الطريق ..

وقال تشول تيجرام ليؤكد كلام زوجته : ـ

ـ اننا قوم محترمون ...

وقال هاري رام بمسكنة :

ماذا أقول ... تمنيت لو أن القدر لم يخلقها بهذا الجمال ، ولكنني حضرت اليوم ... تستطيعون أن تقتلوها اذا نظرت لآخر .. اليك خاتما لابني بالوانت فلست أستطيع أن أدفع مهرا كثيرا ... والآن سوف أعوض قليلا عما يناله الأولاد ...

وبين استسلامها لمصيرها .. أحست لاجونتي باندفاعات قوية لتقول الحقيقة ، حتى انها ارتجفت قليلا وكادت تقول لهم الحقيقة المخيفة .. لقد أغضبها أبوها حين أهان نفسه وانحنى أمام عائلة زوجها .. وانتهت الانقباضات من أحشائها ، وأحاط الغضب عقلها بالضباب ، ونادت الحماة على ابنها الأكبر جاسوانت وقالت :

ـ جاسوانتينا !! الأشباح في الحقل ...

واستدار ... ثم رفع يده ليرى .. وفهم .. وبدأ في العودة وارتعشت لاجوانتي في صمت اللعنة ، وكأن شياطين الجحيم قد أطلقت الثعابين والعقارب على جسدها ..

وأحست في لحظة استسلام للجنون،

كانها تنام على سرير زوجها البطل ، وقد التفت ذراعاه حولها ... وكانت تعلم الحقيقة أن بالوانت جبان لا يجرؤ على أن يرفع رأسه فى وجه شقيقه الأكبر .

قال جاسوانت وهو يمضغ الكلمات فى فمه ، ويلقى بالفجل الأحمر على الأرض ، بالقرب من باب المطبخ الخارجى

ـ لقد عادت ..

وقال هارى العجوز

ـ لم تستطع أن تقول لك أنها تريد أن ترى القابلة .. لقد كانت علامات ظريفة ..

وأجاب جاسوانت : ـ

ـ ولكن القابلات هنا أيضا ... وهنا أيضا مستشفى سفدار جونج ... لا تخدعك حكاياتها يا عمى .. لقد نظرت الى أكثر من رجل قبل أن تتزوج ... انها فتاة خبيثة ... الطريقة التى أهانتنى بها حين ذهبت لأحضرها ، لقد كانت تجلس هناك ، وترد على !! وسمحت لزوج هذه المرأة بأن يصفعنى على وجهى .. عاهرة ..

وقال تشولد تيجرام ليوقف الفتى :

ـ كفى يا ابنى .

قال جاسوانت وهو يضرب لاجوانتى على ظهرها : ـ

ـ خذى هذه ... لأننى ضربت ..

وصرخت الأم :

ـ جاسوانت !!

وارتعشت لاجوانتى ونظرت حولها ، ثم صرخت من الفزع قبل أن تنهنه ، وصرخ جاسوانت .

ـ انك تستحقين الضرب بالحذاء ..

وأقبل على الفتاة وكأنه نسر شرير ... ينقض على الفريسة بعنف وقسوة وحقد ... ومد ذراعيه وكأنه يريد أن يضربها مرة أخرى ..

وصرخ أبوه .

ـ ابتعد !!

وقال هارى :

ـ دعه يعاقبها ... اذا كان يظن أنها ارتكبت خطأ ... دعها تقع على قدميه ... ان ابنتى طاهرة ..

أحس هارى رام ، بعد أن قال ذلك بلطمات التأنيب لجبنه ... ثم اجتاحته أزمة سعال حادة ، وامتلأت عيناه بالدموع ..

وقالت لاجوانتى من تحت أنفها :

ـ مينا ... لا أستطيع أن أتحمل كل هذا ...

وقال جاسوانت :

ـ ياخادعة ... أيتها العاهرة الماكرة

واتجه نحو أبيها .

ـ خذها .. لا فائدة لها هنا بعد أن أصابتنا بالعار أمام عائلتنا وقال تشولدى تيجرام :

ـ يا بنى كفاك كلمات غاضبة ... لقد عاقبتها بما فيه الكفاية ..

وقالت الحماة :

ـ دعها تقوم لتعمل ..

وقال هارى رام :

ـ فليبارك الله كلامك العاقل !! .. كنت أعلم أن قلبك رحيم . وأتركها الآن فى رعايتك اقتلوها ان شئتم ولكن لا تتركوها تعود دون أن يكون فى يدها طفل ... لن أستطيع الحياة من العار

.. اذا عادت مرة ثانية .. سألت لاجوانتى طائرها وهى تغسله فى القفص .

ـ من الذى سيتكلم معك اذا ذهبت ولم أعد ... كان الطائر يرتجف ليتفادى الحمام .. وسألت لاجوانتى :

ـ هل تختنق اذا غرقتك فى الماء يا صغيرى ؟؟

وابتعد الطائر كأنه يجيب وجلست على حافة البئر بعيدا عن الحياة المضطربة التى تحيط برأسها وعقلها الذى أصبح مشوشا .. وأحست بانها توقفت عن التفكير فانها لن تفعل ذلك مطلقا .

الآن ... أو مستحيل أن يوجد أحد غيرها والطائر ، لقد انتهت نساء القرية من أخذ الماء اللازم للمساء وسوف تظلم القرية بعد برهة ... تكفيها حركة بسيطة من حيث تجلس.. لكن لا ... يجب ألا تنتظره أكثر ... وبحركة من خلف رأسها وهى حائرة دفعت نفسها داخل البئر .

كان اندفاعها بعنف فاصطدم ذراعها الأيسر بالحجر قبل أن تسقط تماما داخل البئر ..

خلال لحظات أحست بألم فى ساقها ... وغصت داخل الماء من وقع السقوط .. ولكنها أحست بجسدها يرتفع .. ولسوء حظها كانت تجيد السباحة ، ولم تستطع أن تكتم أنفاسها وظهرت برأسها فوق الماء ، ووجدت نفسها تستخدم ذراعيها لتقوم .

ـ لازالت هناك فرصة ...

وارتفعت ثم غاصت وهى تمسك انفسها بأصابعها ثم بقيت دقيقة تحت الماء وحاولت أن تغرق نفسها بأن رفعت يدها من أنفها المسدودة ... وارتفع رأسها فوق سطح الماء ... تبحث عن الهواء .. وجاء صوت حماتها مرتجفا ..

ـ لاجوانتى ... لاجوانتى .. اخرجى .. ليست هذه طريقة الناس المحترمين .

لم تكن فى البئر مكان تستطيع أن تضع رأسها فيه .

كيف ظهرت العجوز .

لو تركت وحدها لغرقت فى المحاولة الثانية أو الثالثة وحتى فى الظلام .. لن يوجد مهرب .. ان الحياة فوق الحائط ستكون أسوأ من جهنم .. أسوأ مما مضت ..وتركت نفسها بسهولة.. وبدأ الماء يملأ فتحات أنفها وفمها .. وبدأت تغرق .. وقبل أن تفقد وعيها أحست بنفسها تماما فى الوحل .. بالقرب من البئر .

كان يجلس أحدهم على بطنها ، ويضغط عليه ، وكان الماء يخرج من فمها وأنفها .. وكان مذاق الهواء القديم فى حلقها .. مذاق أنفاس الحياة حين كانت تنام وهى تذوب تحت أجفانها الثقيلة.. بدأت مرارة أنفاسها .. وأخذ النوم يثقل عيونها فى نظرة ثابتة .. ومع ذلك فقد خرج مزيد من الماء فى أنفها وفمها .. وبدأت جفونها المثقلة بالنوم تفتح .

استطاعت أن ترى الببغاء الى جوارها .. وقالت بكلمات غير منطوقة خلال الالم فى رأسها وارتجافة فى قلبها :

ـ لا طريق للخروج .. لقد حكم على بالحياة .